الدكتور شكري عياد:

الجيل الراهن متعجل في الأخذ من المذاهب النقدية الغربية *

بقلم: جهاد فاضل
لبنان

يؤلف هذا الحوار ... مع الدكتور شكري عياد الذي انتقل إلى رحمته تعالى.. موجزا لسيرته كناقد، وعرضا لآرائه فيما يدور في الساحة النقدية والثقافية العربية في الوقت الراهن، فقد التقيته لآخر مرة في مدينة دبي عندما زارها لاستلام جائزة سلطان العويس في النقد التي تقاسمها مع الدكتور جابر عصفور.

في هذا الحوار الذي يؤلف وثيقة أدبية عن عصرنا وثقافتنا، يصف الدكتور شكري عياد نقد الجيل الراهن من النقاد العرب المحدثين بأنه «نقد متعجل»، كما يصف النقاد الذين تلوا جيله بأنهم لم يكونوا «أكثر تقدما منا» وهو لا يعتقد بأن النقد يمكن أن يكون علما دقيقا لأن مادته قائمة على الاختلاف، ولأن الأساس في الأدب هو الاختلاف، فلا يمكن أن يكون علم الأدب مطلقا وشاملا وعاما كما يريده كثير من البنيويين.

وعنده أن النقد العربي المعاصر لم يبدأ بطه حسين بل بمحمد مندور. «طه حسين كان يحدثنا عن نقاد فرنسيين قدامى نسبيا، في حين أن محمد مندور كان يحدثنا عن لانسون ولاسوسور».

ولا يعتبر أن الدكتور لويس عوض أضاف شيئا مهما في نظرية النقد، ولو أنه أعطى

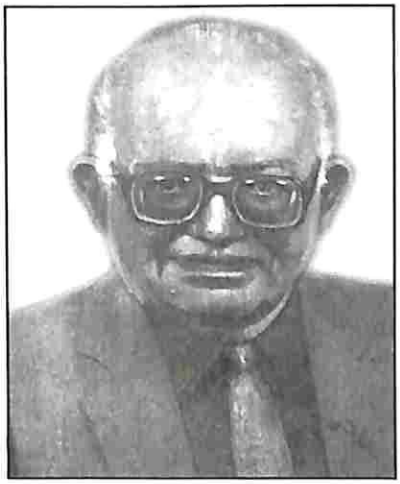

د. شكري عياد

أشياء لا بأس بها في النقد التطبيقي.

وبعد أن يصف هذا العصر بأنه عصر الحيرة، يقول: إن اللغة يجب أن تكون مكتوبة بفن، وإن على الكاتب العربي أن يكون دارسا جيدا للأدب العربي.

وينحو باللائمة على بعض الكتاب الذين يتعالون على الجمهور فيقول: إنه لا توجد ثقافة بدون جمهور مثقف.«يجب أن نحترم هذا الجمهور وأن نشرح له ما نفعل».

ويعود إلى النقد البنيوي وما آل إليه ليضع الأمور في نصابها، ويستبعد وقفة الورع أو الإيديولوجيا عند التعامل مع هذا النوع من النقد :«لا مانع من أن نستعين بالبنيوية وسواها من مناهج النقد لبناء نظريتنا أو ثقافتنا المستمدة من بيئتنا ومواقف أمتنا، ولكن مع الحرص على الاستقلالية ولا فخر».

* جزء من الحوار الذي نشر بجريدة الرياض، العدد ١١٣٩٢، ٢٢ جمادى الأولى ١٤٢٠هـ.

وهذا هو نص الحوار..

❖ كيف ينظر ناقد كبير من جيل سابق هو الدكتور شكري عياد إلى نقد الجيل الراهن؟

نقد الجيل الراهن هو، بكلمة واحدة، متعجل. متعجل في الأخذ من المذاهب النقدية الغربية، متعجل في محاولة ابتداع ما يسمونه نظرية عربية في النقد، وكلا الأمرين لا يؤخذ هكذا بالعنف.

الأمور يا سيدي تحتاج إلى نضج، والفكر الجديد يتكون من شتى الروافد، لكنه يبني نفسه من داخله. وهذه عملية طويلة الأمد.

❖ وهل تعتقد أن الانفتاح العربي في العقدين الأخيرين على النظريات ذات المصدر الأجنبي، أدى خدمة ما للأدب العربي؟

لقد أشعر هذا النقد الأجنبي عامة المهتمين في الأدب من طلاب وقراء بأن هناك مذاهب اسمها كذا وكذا وكذا.. لكنه في تقديري لم يعطها الحد الكافي من الشرح.. لم يهضمها كما ينبغي. وجيلنا بدأ بالتعريف بهذه المذاهب، وبكثير من الاستقلالية، ولا فخر. كنا نطمع أن يكون الجيل الذي بعدنا أكثر تقدما منا، ولكنه ليس كذلك. أنت مصر على الحكم الصريح.

❖ وهل أنتم من نهج لا يحول الناقد عنه، أم أنك ترى أن لكل نص منهجه؟

طبعا القاعدة العامة العلمية أن مادة العلم تملي منهجه. هذا الجانب من جوانب المشكلة، جانب آخر أن كل ثقافة لها تراثها ولها خصوصيتها. والمنهج طريقة، هي أشبه بالطرق العلمية، أشبه بالمبادئ الرياضية. لا تصلح للتطبيق كما هي ثقافات مختلفة..

أنا أشعر بأننا في حاجة إلى فعل ابتداع مستمر وعاقل وواثق دون غرور ودون ادعاء، وخصوصا دون تعال على القارئ العام أو المثقف العام، فهذا في الحقيقة هو أمل الثقافة العربية.

لا توجد ثقافة ما بدون جمهور مثقف، ولن توجد ثقافة عربية بدون جمهور عربي مثقف. فنحن نعنى بهذا الجمهور ونحترمه، ويجب أن نشرح له ما نقول. ويجب ألا نغرقه في سيل من الاصطلاحات الجديدة غير المعرّفة. ولا أريد أن أقول: إن الشائع (وإن كان هو صحيحا) هو نفسه لا يحقق معاني الاصطلاحات الجديدة.

كل اصطلاح له دلالته عند النقاد المختلفين. الواجب على الناقد العربي أن يحدد دلالته عنده في المقالة التي يكتبها ولا ينتظر أن يخمن القارئ ويذهب يمينا وشمالا في الافتراضات حتى يفهم ما يريده الناقد، مثلا «بالبنية» أو «المحور الأفقي» أو «المحور الرئيسي» إلى آخره..

❖ وإلام ترد هذا الخلل في العملية النقدية عند النقاد العرب المعاصرين؟

نعم، ثمة خلل. إنه التعجل، ونحن قد تكون لنا ظروفنا التاريخية في الوقت الراهن التي تجعلنا نتعجل. بمعنى أن الظروف المحيطة بنا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وأدبيا أو ثقافيا بوجه عام، تحفزنا حفزا شديدا إلى أن نسرع بالاستجابة، أن نعطي الاستجابة السريعة. لكن أنا أقول: إن الاستجابة السريعة لاتغني فتيلا، وإنه لا أمل في أي بناء حقيقي في هذا الجيل الحاضر، أي جيل أبنائي وحتى أحفادي. أنا أرجو أن يعملوا حتى يكون للثقافة العربية، بوجه عام وليس للنقد فقط كيانها ووجودها بعد عشرين أو ثلاثين سنة ■

الرياض

حوار لم ينشر مع الناقد الراحل د. شكري عياد

النقد الأدبي لم يبدأ بـ(طه حسين) بل بـ(محمد منـ

لابد من أن نعبر هذه الفجوة بين لغة الحياة ولغة الأ